



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد السابع والثمانون / السنة الواحدة والخمسون

جمادى الأولى - ١٤٤٣هـ / كانون الأول ٢٠٢٠ / ١٢ / ٢٠٢١م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية
باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: السابع والثمانون السنة: الواحدة والخمسون جمادى الأولى - ١٤٤٣هـ / كانون الأول ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/ جامعة بابل/ العراق
الأستاذ الدكتور كلود فينثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/ جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/ جامعة عين شمس/ مصر
الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/ جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتورة أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير :

التقويم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمار أحمد محمود	— مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلّق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدائث فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فافتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٣٨ - ١	النحاة والقراءات القرآنية مواقف وحقائق محمد ذنون يونس فتحي
٦٤ - ٣٩	المحاكاة الصوتية في قراءة عاصم برواية حفص هاء الكناية أنموذجاً محمد إسماعيل المشهداني
٨٨ - ٦٥	التعليل الصوتي لأحكام النون الساكنة والتنوين عند القراء العشرة فتحي طه أحمد و فيصل مرعي الطائي
١١٦ - ٨٩	الأخر/الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي أسماء طاهر ذنون العبادي و منتصر عبد القادر الغضنفر
١٤٠ - ١١٧	أسلوبية التضاد الدلالي في أحاديث رياض الصالحين للنووي (ت ٦٧٦هـ) هدى محمد محمود محمد و مازن موفق صديق الخيرو
١٨٢ - ١٤٥	الأحاديث النبوية الشريفة المبدوءة بـ (ليس منّا ...) . دراسة دلالية . فخري أحمد سليمان
٢١٠ - ١٨٣	رمز المرأة "ليلي" في الشعر الصوفي عصمت حسين ميرزا
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٢٣٢ - ٢١١	تطور العلوم الدينية وعلوم اللغة والنحو والادب في المدن الاندلسية التي اسسه المسلمون في عصري الامارة والخلافة (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣١م) أسامة سالم شيت حامد الزبيدي و فائزة حمزة عباس
٢٧٢ - ٢٣٣	تطور صورة الآخر العثماني في كتابات المستشرقين والمؤرخين الأوربيين محمد علي محمد عفين
٢٨٦ - ٢٧٣	نبذة عن حياة الملك المنصور الاجتماعية محمد عادل شيت و سلطان جبر سلطان
٣١٦ - ٢٨٧	مجد الدين ابن الأثير وعلاقته بالسلطة الزنكية ما بين (٥٦٥-٥٨٩هـ/١١٦٩-١١٩٣م) مناهل أسامة الخيرو و شكيب راشد بشير
٣٣٦ - ٣١٧	الصلات التجارية بين الموانئ الهندية والصينية (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) قاسم عمر علاوي اللهيبي و سفيان ياسين ابراهيم
٣٥٠ - ٣٣٧	النشأة الاجتماعية للدكتور محمد علي داهش محمود جاسم محمد و هشام سوادي هاشم
٣٦٨ - ٣٥١	إسهام المرأة الاقتصادي في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) من خلال كتب البلدانيات أحمد ميسر محمود
٣٨٦ - ٣٦٩	السفارة في الاسلام العصر العباسي بتول عباس فاضل

بحوث علم الاجتماع

٤١٦ - ٣٨٧	النظرية والمنهج في علم اجتماع المعرفة واجتماعية المعرفة العلمية شفيق إبراهيم صالح الجبوري
٤٣٨ - ٤١٧	الكلفة الاقتصادية والاجتماعية للمواد الغذائية المستوردة في العراق دراسة ميدانية على أطفال مدينة الموصل فائز محمد داؤد وفراس عباس فاضل البياتي
٤٧٤ - ٤٣٩	الإدمان على المخدرات دراسة تحليلية في أسباب وأنواع المخدرات والنتائج وسبل المعالجة محمد عبد المنعم الزبيدي

بحوث المعلومات والمكتبات

٥٠٨ - ٤٧٥	تكنولوجيا المعلومات واستخدامها من قبل العاملين في المكتبات : مكتبات جامعة الموصل أنموذجاً مهدي صالح أحمد وعمار عبد اللطيف زين العابدين
-----------	---

بحوث طرائق التدريس وعلم النفس

٥٧٠ - ٥٠٩	بناء اختبار لقياس القدرات التقويمية لدى طلبة المرحلة الثانوية ميساء محمد قاسم وندى فتاح زيدان
-----------	--

الآخر/الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي

أسماء طاهر ذنون العبادي* ومنتصر عبد القادر الغضنفرى*

تأريخ القبول: ٢٠١٩/١٢/٣١

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/٢/١٩

المستخلص:

يتناول هذا البحث جانبا من الجوانب المهمة لدى الشاعر الأندلسي ابن خفاجة وهو الآخر / الطبيعة، فهو من اهم شعراء الاندلس الذين تعاملوا مع الطبيعة حتى غدت ركناً ركيناً من اركان نضه الابداعي، حتى بلغت الطبيعة - صامتة وحية - الذروة في الوصف والتواصل على يده.

إنّ الآخر الطبيعة واخص بذلك الطبيعة الاندلسية تعدّ أحد العوامل التي اسهمت في تأسيس ظواهر الابداع والابتكار والتجديد في الشعر الأندلسي عامة والشاعر ابن خفاجة خاصة حتى عد شاعر الطبيعة الاندلسية لا وصافا لمجاليها ومتحدثاً عن جنباتها بل انه اضفى عليها من مظاهر الحياة ما صارت معه مستقبلاً منه أفكاره ومشاعره مثلما جعلها، فضاء لنصوص كثيرة في شعره فضلا عن الوصف المباشر لتجتمع بذلك كله صورة لآخر مهم كان له دور كبير في بيان تجربة الشاعر النفسية / الفكرية والابداعية.

الكلمات المفتاحية: مشاعر، أفكار، صور.

المقدمة:

يسعى هذا البحث الى دراسة الآخر / الطبيعة في شعر ابن خفاجة فصلته بها كانت قوية فهي حاضرة حضوراً فعال في شعره حتى غدت مسيطرة على أغراض شعره وموضوعاته كلها، وعلى الرغم من أن ذوق البيئـة الاندلسية قد فرض نفسه على نصوص الشاعر في اغلب اوصافه للطبيعة الحية والصامتة فإنه تعامل معها نفسياً وفكرياً وفنياً ما جعل منها آخر يحادثه ويتواصل معه مثلما يصفه بوصفه فضاء يحتوي نصوصه الابداعية.

* طالبة ماجستير/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية الإنسانية/جامعة الموصل.

* أستاذ/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية الإنسانية/جامعة الموصل.

الآخر / الطبيعة:

لقد ادرك الشعراء منذ القدم بأهمية (الآخر / الطبيعة) "كباعث لخلجات النفس وهمومها، فوصفوا مظاهرها، وصوروا جزئياتها، فوصفوا الجبال والسهول والوديان والامطار، ووصفوا الليل والنهار وجعلوا الاعتماد فيه على انفعالاتهم الحسية والتي ضمنوها ابياتهم" (١).

إن لـ (الآخر / الطبيعة) صدى واسعاً في حياة العربي شرقاً وغرباً؛ فالطبيعة تؤثر في فكر (الشاعر/ الذات) وثقافته، ويكاد الحديث عن (الآخر / الطبيعة) يكون الحديث عن (الشاعر/ الذات) نفسه؛ "فالشاعر بلا طبيعة، مثله مثل من يفتقد الضوء، فيتلمس من دون أن يرى" (٢) وهكذا فلا يمكن فصل الشاعر عن الطبيعة ولا الطبيعة عن الشاعر مهما كان هذا (الآخر) طبيعة صامتة أو طبيعة حية وعن طريق (الذات) تصل (الآخر / الطبيعة) إلى غايتها وهو أمر في غاية الصعوبة (٣)، ولا يخفى على أحد أن "الشاعر العربي منذ الجاهلية قد عني بالطبيعة جامدها وحيها فتعني بمظاهرها، وجعل منها صدى لصوته وانعكاساً لتجربته، ثم راح يؤنسها مخاطباً الجبل ومنادياً النسيم، مناجياً الليل، مرافقاً للناقة والفرس: مصاحباً الوحش من ذئب وضياح وسباع، وإذا به ينظر إلى الطبيعة أما بعين البدوي ليصف الصحراء المترامية والدمن البالية والطلول... وأما بعين الحضري الذي شرع يتغنى بنعومة الحياة وترفها..." (٤).

(١) الذات والآخر في روميات ابي فراس الحمداني، نوال براك الثمالي، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى بمكة المكرمة كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا للغة العربية فرع الادب والبلاغة والنقد، بإشراف الاستاذ الدكتور مصطفى عناية، ١٤٣٢هـ: ١٣٠.

(٢) رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، الاستاذ الدكتور عبدالكريم راضي جعفر، الطبعة الثانية، (د.م)، ٢٠١٤م: ٨٦.

(٣) ينظر: الآخر في شعر الخطيئة دلالة المكان اتمودجاً، الدكتور علي حسين جلود، الدكتور حمادي خلف سعود، مجلة كلية التربية الاساسية، المجلد (٢١)، العدد (٨٧)، ٢٠١٥م: ٤١.

(٤) جدلية الانا والآخر في الشعر الصوفي على امتداد القرنين السادس والسابع الهجريين، صالح ابراهيم نجم، شهادة الدكتوراه، جامعة تشرين، كلية الاداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية، بإشراف الدكتور وفيق محمود سليطين، السنة الجامعية ٢٠١٢ - ٢٠١٣م: ١٩١.

ولما كان الشعراء الاندلسيون قد طرقت الابواب الشعرية جميعاً التي طرقتهم قبلهم المشاركة، ناسجين على منوال الشعر المشرقي في موضوعاته واساليبه ومنها شعر الطبيعة خاصة، حتى غدا الشعر الاندلسي محاكاة ونقلًا لعبارة الشرق ولفظه واساليبه واغراضه واوزانه وقوافيه^(١)، مع لمسات إبداعية افصح عن شخصيتهم الشعرية المتميزة وقد تلمس "ابداعهم وبراعة وصفهم، ورقة تصويرهم، ورقة احساسهم، وشدة افتنانهم وحلاوة معانيهم وخصب خيالهم، فاسمعهم في ذكر بلادهم الجميلة ووصف مفاتها، اسمعهم يصفون اطيارها، واشجارها، جداولها وانهارها، نجومها واقمارها، غيومها وامطارها، قصورها وحدائقها، بركها ودوافقها بصورها وتمثيلها نقوشها وما إلى ذلك من اسباب عمراتها، وما كان شعرهم الا لواناً متمازجة انيقة في خضرة الاشجار وحمرة الاثمار وبياض الحباب وصفرة الشمس، وذهب الاصيل ولجين الماء وزرقة السماء"^(٢).

إن من الطبيعي أن يتأثر التلميذ بأستاذه، فقد بقي شعور الاندلسيين نحو المشاركة شعوراً متادباً متواضعاً حتى إن ابن خفاجة كان يقارن نفسه بالشاعر الحلبي المعروف باسم (الصنوبري) فكلا الشاعرين تفوقا في وصف الطبيعة وازاهيرها^(٣)، فالطبيعة كانت "ذات حيز كبير مستقل ثري من الاهتمام بها لدى الشعراء ما يوحي بعظم تأثيرها الخالب"^(٤).

أن الشاعر ابن خفاجة فهم الطبيعة فهماً "ما يستطيع انسان مثله أن يفهمه، ووادع ذلك في شعره اثناء الكلام عن مظاهرها، من اشجار وانهار، وانوار، وظلال، ووديان

(١) ينظر: ابن خفاجة الاندلسي، عبدالرحمن جببير، الطبعة الاولى، دار افاق الجديدة - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ٩ - ١٠.

(٢) الطبيعة في الشعر الاندلسي، جميلة شحادة الخوري، شهادة استاذ في العلوم، جامعة بيروت الامريكية، كلية الاداب، ١٩٤٦م: ١٨.

(٣) ينظر: حول الادب الاندلسي، الدكتور قيصر مصطفى، (د. ط) ، مؤسسة الاشراف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (د.ت): ١٤٢ - ١٤٣.

(٤) الادب الاندلسي بين التأثر والتأثير، الدكتور محمد رجب البيومي، (د. ط) ، اشرفت على طباعته ونشره ادارة الثقافة والنشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ٦٠.

وجبال، وحمائم وغريان" (١). وقد ذكره معاصروه ومن تلاهم، شاهدين له بالبراعة والسبق في وصف الرياض والمياه وما يتعلق بهما من عناصر الطبيعة المختلفة (٢)، ووصفه ابن سعيد في كتابه بأنه "شاعر الاندلس في وصف الازهار والانهار وما أشبه ذلك" (٣)، وكان بارعاً في وصف الانهار والازهار والاشجار والرياحين والرياض والبساتين حتى سموه (بالجنان) وسمي (صنوبري الاندلس) وذلك لكثرة اوصافه في الطبيعة وبراعته في تلك الاوصاف ولولوعه بها (٤)، فليس جمال الطبيعة في الاندلس هو الذي ساعد على ازدهار الشعر الذي نظم في وصفها بعامة، بل إن حياة المجتمع الاندلسي أثرت كذلك في الشعر بما يمثل تعلق الاندلسيين ببيئتهم وتفضيلها على غيرها من البيئات، فوصفها الشاعر الاندلسي "وصفاً دقيقاً ورسم اجمل اللوحات الابداعية، لأنه وجد فيها الحركة التي تمثل الحياة، وقد صورها على نحو انساني تملوه الحركة والنشاط" (٥)، وقد تأكد من خلال ذلك كله إن لـ (الآخر/ الطبيعة) دوراً في بناء شخصية (الذات/ الشاعر). ولقد تأثر

(١) ابن خفاجة الاندلسي: ١٠٤.

(٢) ينظر: فضائل الاندلس واهلها، ابن حزم وابن سعيد الشقندي، تد الدكتور صلاح الدين المنجد، الطبعة الاولى، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م، ٤١.

(٣) رايات المبرزين وغايات المميزين، لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد الاندلسي (٦١٠-٦٨٥)، حققه وعلق عليه الدكتور محمد رضوان الداية، الطبعة الاولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق- اوتوستراد المزة- ١٩٨٧: ٢١٧.

(٤) ينظر: نفع الطيب من غصن الاندلس الرطب، شهاب الدين احمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، تد احسان عباس، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٩٧م: ١/ ٦٨١، ٣/ ٤٨٨، و تاريخ الادب العربي (الادب في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين)، عمر فروخ، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين بيروت- لبنان- كانون الاول ١٩٨٥: ٥/ ٢١٩.

(٥) ينظر: في الادب الاندلسي، مكتبة الدراسات الادبية (١١)، الدكتور جودت الركابي، الطبعة السادسة، دار المعارف- القاهرة- ٢٠٠٨: ١٣٣، الفاظ البيئة والطبيعة في شعر ابن زيدون: دراسة صافية تحليلية، عبدالرحمن عبدالسلام داوود مطرود، رسالة ماجستير، جامعة الجزيرة، كلية التربية - الحصاصيصا، قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية، بإشراف الدكتور فتح الرحمن محمد أحمد عوض، ابريل - ٢٠١٩م: ٨٠.

شعراء الاندلس عامة والشاعر ابن خفاجة خاصة بما حوته البيئة الاندلسية من مظاهر الطبيعة.

اذن فالطبيعة تتجلى في متن النص الشعري عند الشاعر ابن خفاجة بوصفها متعلقات ارتبطت بنفسية الشاعر فأستلهم منها وانسجم معها حتى تحولت إلى أفق يمثل (الآخر) على نحو حاول الشاعر عن طريقه اسقاط اللاوعي أو الحالة النفسية التي يعانها عليها، حتى غدت عنصراً (مقدساً) - إن صح التعبير - من عناصر إدائه الفني.

لقد وقف الشاعر ابن خفاجة عند الطبيعة صامته وحية، وعدّ الطبيعة الصامته ألفه الحميم وتوأم روحه كيف لا وهي مهبط وحيه؛ فالطبيعة الاندلسية الجميلة شدته نحوها بمناظرها الساحرة والخلابة؛ وهي من العوامل التي اسهمت في تشكيل ظواهر الابداع والتجديد والابتكار في الشعر الاندلسي عامة وشعر ابن خفاجة خاصة^(١). ويرى شوقي ضيف أن وصف الطبيعة "غرض مهم من أغراض الشعر العربي في كل عصر وفي كل اقليم، فدائماً الشعراء يتغنون بما تقع عليه ابصارهم من مشاهد الطبيعة الصامته: من الرياض والازهار والحدائق والجبال والانهار والبحار..."^(٢)، ولاسيما الشاعر ابن خفاجة الذي عاش في طبيعة مليئة بأصناف الجمال وأنواعه، ولقد وصف الشاعر تلك الطبيعة بـ "مظاهرها ومباهجها برياضها وازهارها وانهارها وجبالها ومفاوزها وسمائها ونجومها وما يتصل بذلك كله من نسيم ورياح وامطار، وكان الشعور الغالب على هذا الوصف المرح والبشر الا ما كان في امر وصفه للجبل، اذ ساده التأمل والنظرة الحزينة"^(٣)، فهو "بحق

(١) ينظر: تشخيص الطبيعة والاسقاط في شعر ابن خفاجة، نجود عطاء الله الحوامدة، مجلة كلية دار

العلوم، جامعة القاهرة، العدد (٩٦)، اكتوبر - ٢٠١٦م: ٣٥٩.

(٢) عصر الدول والامارات (الجزائر - المغرب الاقصى - موريتانيا - السودان) تاريخ الادب العربي ١٠،

الطبعة الاولى، دار المعارف، القاهرة، د. ت، د. شوقي ضيف: ١٨٣.

(٣) في الادب الاندلسي: ١٠٦.

شاعر الاندلس ووصافها، وابن طبيعتها الساحرة" (١). ولعل أهم ما يلاحظ على فنه أنه كان يعني بتشخيص الطبيعة وتصوير مباحها (٢).

وصف ابن خفاجة الطبيعة الاندلسية بانها جنة الارض مشبهاً إياها بالجنة في الدار الآخرة، فمن دخلها "حرمت عليه النار فهي جنة حباهم الله فيها، فلا بد من شكر الله على هذا الجمال" (٣)، مباركاً لأهل الاندلس هذا المكسب ومتعجباً من حصولهم عليه فليس بعده من مكسب يقول (٤):

يا أهل الاندلس لله دركم ماء وظل وانهار واشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم وهذه كنت لو خيرت أختار
لا تتقوا بعدها أن تدخلوا سقرًا فليس تدخل بعد الجنة النار

فقد جاء وصف الآخر/ الطبيعة الصامته ههنا ذكر موجوداتها من زهريات ومائيات وشجريات وثمريات فضلاً عن الجبل والليل والرعد والبرق و... الخ فالشاعر لم يترك شيئاً الا وقد تطرق اليه من (الآخر/ الطبيعة) في شعره وذكره في ديوانه في مواضع متعددة اذ يقول في وصف (الآخر/ الطبيعة/ خيرية) (٥):

وخيرية بين النسيم وبينها حديث اذا جن الظلام يطيب

(١) قصة الادب في الاندلس، محمد عبدالمنعم خفاجي، (د. ط) القسم الثاني والاخير، منشورات مكتبة المعارف- بيروت، ١٩٦٢: ٢٢٢، الادب الاندلسي التطور والتجديد، الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الاولى، دار جبل، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م: ٥٠٣.

(٢) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الدكتور شوقي ضيف، الطبعة التاسعة، دار المعارف - القاهرة، (د. ت) : ٤٤٥.

(٣) القيم الاخلاقية والجمالية في شعر ابن خفاجة الاندلسي، دراسة تحليلية وصفية، مجدي عبدالمعروف حسين أحمد، مجلة العلوم والتقانة، مجلد (١١) ، العدد (١) ، ٢٠١٠م: ٢١١.

(٤) ديوان ابن خفاجة، تح. الدكتور السيد مصطفى غازي، دار المعارف- الاسكندرية- القاهرة، ١٩٦٠: ٣٦٤، وينظر: نوح الطيب من غصن الاندلس الرطيب: ١/ ٦٨٠.

(٥) ديوان ابن خفاجة: ٨٢.

لها نفسٌ يسري مع الليل عاطر
يدب مع الامساء حتى كأنما
كأن له سرّاً هناك يُريب
له خلف استار الظلام حبيبُ
ويخفى مع الاصبح حتى كأنما
يظل عليه للصباح رقيبُ

يضي الشاعر على وصفه (للآخر/ الطبيعة) ولاسيما وردة الخيرية صفات انسانية حتى لكأنها حبيبة تناجي حبيبها في الظلام، بوصفه وقتاً يطيب فيه الكلام وحجاباً يستر ما بينهما وما حبيبها إلا النسيم الذي يحمل عطرها لينشره في هذا الليل كأنه سر يجب إخفائه وكأنه يريد اللقاء بحبيب... ليختفي صباحاً خوفاً من الرقباء^(١).

إن وصف حياء هذه الزهرة هو في الاصل بنية لسؤال جوهرى يحاول من خلاله الشاعر أن يكشف عن سر ظهور هذ العطر في الليل واختفائه بالنهار. وهي ظاهرة غريبة وعجيبة شغلت الاندلسيين بما تحمله من معجزة ربانية في نصه هذا تحكي خصوصية انحازت لها طبيعة الاندلس.. اشار اليها ابن خفاجة بما يؤكد "شغفه بالطبيعة التي عُدت مصدراً مهماً من مصادره في رسم صورته"^(٢). إن التحامه ب (الآخر/ الطبيعة) هو بمثابة حالة إلهام يعيشها فكان "كثير التأمل في المشاهدات وكانت نظراته تقود عقله، وترسم له طرق التفكير وأنواع الخيال، فكانت كل معلوماته وآرائه من طرق النظر والتأمل في جمال الالوان وتناسق الاشياء فاصبح عقله اشبه بخزانه منظورات، وقد حملته دقة النظر على دقة التعبير"^(٣) وعلى وفق ذلك فإن (الآخر/ الطبيعة) حالة يتداخل فيها الانساني بغير الانساني، فالشاعر ابن خفاجة فُتن بزهرة الخيري التي تنتشر رائحتها ليلاً، كغيره من شعراء الاندلس فكلفوا بوصفها وخلصوا عليها كثيراً من الصفات الانسانية^(٤).

(١) ينظر: مبنى قصيدة وصف الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي، دراسة تحليلية، الاستاذ المساعد

الدكتور خالد لفته باقر، مجلة اداب البصرة، العدد (٧٧)، ٢٠١٦م: ١٨.

(٢) جماليات الصورة في الشعر الاندلسي، الدكتور احمد خلف المفرجي، (د. ط)، دار نون للطباعة

والنشر والتوزيع، (د.ت): ١٣٥.

(٣) الادب الاندلسي التطور والتجديد: ٥٠٤.

(٤) ينظر: الشعر الاندلسي في عصر الموحدين، الدكتور فوزي عيسى، الطبعة الاولى، دار الوفاء لدنيا

الطبع والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٧م: ١٣٩.

إن ابن خفاجة قد اجاد في رسم الصورة التي تساعدت وتساندت على إبراز قيمتها الجمالية أكثر من صورة تشبيهية، وقد حاول الشاعر تأكيد هذه الصورة وإبرازها للمتلقى باستعماله الاداة كأنما التي تعطي طابعاً توكيداً أكثر من الكاف (١).

وقد يصور مشهداً حربياً في اثناء وصفه زهرة ما كما في قوله يصف الشقيق (٢):

يا حبذا والبرد يزحف بكرة
جيشاً رحيقاً دونه وحريق
حتى اذا ولى واسلم عنوة
ما شئت من سهل وذروة نيق
اخذ الربيع عليه كل ثنية
فبكل مرقبلة لواء شقيق

ذلك لأن الاندلس ارض جهاد وكفاح ويرى أحد الباحثين أن في هذه الابيات دقة واناقة وطرافة في الوصف حين اضفى عليه مسحة حربية حتى إن منهجه واسلوبه فيها يذكرنا بطريقة ابي الطيب المتنبي في اسباغ اجواء الحروب على الطبيعة فيرفع فوق كل رابية ومرتفع الوية الشقيق دلالة على الانتصار (٣).

فضلاً عن ذلك الوصف فقد عمد الشاعر ايضاً إلى وصف زهرتين مجتمعتين هما زهرة الاقحوان والشقيق اذ يقول (٤):

يا هزة الغص الوريق
وبشاشة الروض الاتيق
أنتكما بشرى بسقيا
أم سلام من صديق
فهزرت من عطف ند
وسفرت عن وجه ظليق

(١) ينظر: الخصائص، ابو الفتح عثمان بن جني، تد محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ت: ١/ ١٣٧.

(٢) ديوان ابن خفاجة: ٣٥٥.

(٣) ينظر: الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي دراسة في البنية الموضوعية ولغة الشعر، عبدالحسين طاهر محمد الربيعي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الاداب، بإشراف الاستاذ المساعد الدكتور خالد لفته باقر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨: ٩٨.

(٤) ديوان ابن خفاجة: ٤٢.

ولقد أقول إذ سرى
بين الإقحاحي والشقيق
نفسى ونى فكأنه
من رقة لفظ الشقيق

يبتدئ الشاعر هذه المقطوعة بأداة النداء وكأنه ينادي من يسمع ولكنه في الحقيقة ينادى زهرة يتدلى عليها ندى الصباح وكأنه يصف إحساسه ومشاعره تجاه صديق له؛ فقد صور ابن خفاجة "كياته مع الطبيعة وكأنها جزء منه أو صديق لا ينفصل عنه، وهذا الاحساس ينمو كثيراً مع الشاعر كأن الطبيعة تحاكيه ويحاكيها وعندما يتكلم ترد عليه، فهذا الامتزاج بين الشاعر والطبيعة يعبر عن رمزية اللحظات الشعورية والاحساس الجميل والنفسية المرتاحة التي كان الشاعر يعيشها في احضان الطبيعة"^(١).

إن الشاعر يصف الغصن الوريق بما يبعثه في نفسه من بشاشة وكرم وعطاء وفرح وكأنه يرى صديقه؛ إذ إن صلته "بالطبيعة صلة الصديق بالصديق، يحبها كما يحب الانسان أعز الناس عليه، ويطلب اليها أن تقوم وسيطاً بينه وبين اخوانه فخلانه البعيدين عنه في حمل التحية اليهم. بل أن هذه الصلة قد تبلغ ضرباً من الاجلال والتقدير، فيقسم بها كما يقسم الانسان بمن يجله ويقده"^(٢)، إنه عبر هذه العلاقة يشعر بحالة من السعادة والأنس التي ترتبط بوصف الندى إذ يقول (هزرت عطف الندى) ليقول في آخر النص:

ولقد أقول إذ سرى
بين الإقحاحي والشقيق
نفسى ونى فكأنه
من رقة لفظ الشقيق

(١) الدلالات النفسية في شعر الطبيعة الصامتة لدى ابن خفاجة الاندلسي، استاذ مساعد الدكتور خالد عبدالكاظم عذاري، غفران كريم عودة، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الانسانية، المجلد (٤٣) ، العدد (١) ، ٢٠١٨م: ٥٣٩.

(٢) شعر الطبيعة في الادب العربي، الدكتور سيد نوفل، مكتبة الخانجي بمصر، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، ١٩٤٥: ٢٧٨.

ففي هذين البيتين يصف القول الجميل بأنه يسري بين زهور الاقاحي وشقائق النعمان وقد "اكثر الشعراء الاندلسيون من وصفه واتسع خيالهم وسما بها إلى حد جعلوها فيه شاخصة ناطقة، واسبغوا على الوانها من ذواتهم احساساً بجمالها" (١).

فضلاً عن (الآخر/ الزهريات) فقد ذكر الشاعر (الآخر/ الطبيعة/ الثمريات) فالاثمار لم تكن اوفر حظاً من الازهار، فالأنواع التي ذكرها الشاعر من الثمريات في ديوانه قليلة وهي مقتصرة على النارج والتين والعنب والرمان، فيقول في وصف ثمرة النارج في غصنه (٢): [الطويل]

ومحمولة فوق المناكب عزة لها نسب في روضة الحسن معرق
رأيت بمرآها المنى كيف تلتقي وشمل رياح الطيب كيف تفرق
يضاحكها ثغر من الشمس واضح ويلحظها طرف من الماء أزرق
وتجلى بها للماء والنار صورة تروق فطرفي في حيث يغرق يحرق

إنه يقدم هذه الثمرة على أنها محمولة فوق المناكب لكون هذه الشجرة عالية ومرتفعة وتكون الثمرة في منطقة مرتفعة وكأن لها عزة في ارتفاعها وشموخها فيرتفع "بنانجته وسمو بها نفسياً، فيصورها متخيلاً إياها فوق غصونها ذات شرف رفيع، ونسب عريق، مشخصاً اعناقها حاملة لها" (٣). فضلاً عن أن لها جذراً قوياً صلباً ذا نسب عريق في التراب فهي شامخة لا تتأثر بحركة الرياح ولا ضوء الشمس حتى إن الناظر ليجدها كثيفة الاوراق والاعصان يعانق بعضها بعضاً ولها طعم ورائحة ولون جميل يشد الناظر إليها. أنه ههنا لا يحيلنا إلى "لون النارج الاحمر مباشرة ولا يصرح به، وانما يأتي لونه ايجاء فيستقطب كل ما يحيط به من الوان، فتغر الشمس المشرق الابيض يضاحكها، وعين الماء بزرقتها تخطب ودها، رانية أما هي فتجمع بين صفاء الماء وحمرة النار في

(١) صورة اللون في الشعر الاندلسي (دراسة دلالية وفنية) الاستاذ الدكتور حافظ المغربي، الطبعة الاولى،

دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م: ٤٨.

(٢) ديوان ابن خفاجة: ٧٠.

(٣) مبنى قصيدة وصف الطبيعة، الاستاذ المساعد الدكتور خالد لفته باقر: ١٣.

اشراق وابهار، يروق عين الشاعر فيغرق طرفه في مائها، ويحرق في نارها، ليتوحد لون الماء والنار معنوياً^(١). ولأنها مهجنة فإن فيها طعماً وحموضة قوية حتى لكان فيها حرقة. ثم إن لونها يقرب من الاحمرار ولاسيما عند الغروب الأمر الذي دفع بالشاعر لأن يقف "متسائلاً عن حقيقة ما أبصرت عيناه، فتارة تتراءى له الثمار جماً على الاغصان وتارة اخرى تبدو حدوداً محمرة ابرزتها الهواج" ^(٢) مشبهاً الاحمرار بوجه محبوب آخر وكأن الشاعر يصف وجه امرأة صقلية مهجنة بين العربية والصقلية. إنها صورة خاصة لفاكهة ارتبطت بالبيئة الاندلسية تخالف ما تصف به الثمار في المشرق العربي.

ويقول في ثمرة العنب الاصفر ^(٣):

وصفراء طلقت بنتاً لها	وما للكرام ومأتى الحرام
أمص مراشرفها لوعة	واذكر ما بيننا من ذمام
فعبج تتصفح بديع البديع	وتلمح سلامة شعر السلامي
وعش تثلى انثناء القضيب	سروراً وتسجع سجع الحمام
وتحمل ثوبك خطيئة	وينطق عنك لسان الحسام

في هذه المقطوعة يمزج الشاعر بين شكل او هيئة (الأخر/ العنب) وما ينتجه من خمر؛ إذ أن العنب بنوعيه "الابيض والاسود من الثمار الطرية التي تمنع الجوع والعطش في أن واحد، وقد أثار شكله ولونه مخيلة الشعراء" ^(٤)، وإن كان ما يتحدث عنه ههنا يدخل في منطقة الحرام، وعلماً إن هذا النوع من العنب ذا اللون الاصفر هو "الذي يتناوله

(١) صورة اللون في الشعر الاندلسي دراسة دلالية وفنية: ٦٩ - ٧٠.

(٢) الثمرات في الشعر الاندلسي، دراسة موضوعية، محمد يوسف بنات، مجلة جامعة الازهر - غزة، سلسلة العلوم الانسانية، المجلد (١٧)، العدد (٢ - ب)، ٢٠١٥م: ٢٧.

(٣) ديوان ابن خفاجة: ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٤) صورة الآخر في الشعر الاندلسي والمغربي، الاستاذ الدكتور احمد حاجم الربيعي، الطبعة الاولى،

دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٩م - ١٤٤٠هـ: ٢٧٠.

الاغنياء، ويصبح محرماً اذا يعصر ويخمر" (١) وأنه ذو مذاق مختلف له قدرة على نشر المتعة بين الشاربين حتى إن الشاعر شبه عملية شربه هذه الخمرة (الصفراء) الناتجة من العنب بمص شفتي امرأة يجالسها فشحص من الآخر العنب/ الخمرة آخر ثانياً هو امرأة وقد "هتف ابن خفاجة بالخمير في جو الطبيعة المشرق الجميل، وكأن الخمر معنى واحداً من معاني الطرب المتعددة في الطبيعة" (٢)، وعلى وفق السياق نفسه في الحديث عن العنب الاسود(٣):

[طويل]

واسود معسول المجاج لو إنه	لمى شفة لم ارق يوماً من القبل
حكى ليلة الهجر اسوداداً وإنه	لا شهى واندى من جنى ليلة الوصل
فلله طود للجزالة راسخ	على الجد يهتز ارتياحاً الى الهزل
ينيل على العلات بيض مكارم	تريك الجبال الشم في عدد الرمل
ويطلع منهل الندى متهللاً	طلوع وميض البرق في البلد المحل
ويمضي اذ كع (٤) الشجاع مهابة	مضى لسان النار في الحطب الجزل

ففي البيتين الاولين يرسم الشاعر مفارقة نفسية تصويرية بين اللون والطعم؛ اذ شبه سواد العنب بليلة هجر المحبوب لما يحمله اللون الاسود من دلالات سلبية، هي الوحشة والظلمة والهلع لكنه جعل طعمه لذيذاً عند اقترانه بالعسل فهو اشهى لذة مما قد يجنيه من

(١) ابن خفاجة شاعر وناثر في وصف الطبيعة، عصام الدين بن أحمد، متاح على الرابط، https://www.researchgate.net/publication/312164557_abn_khfajt_shar_wnathr_fy_wsf_altbyt.٦٥٧ :

(٢) شعر الطبيعة في الادب العربي: ٢٨٠.

(٣) ديوان ابن خفاجة: ٣٥٠.

(٤) كع: الجبان الضعيف، لسان العرب، الامام العلامة ابن منظور (ت: ٧١١هـ) ، اعتنى بتصحيحها امين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، الطبعة الثالثة، دار احياء التراث العربي، (دم) ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م: مادة (كع) .

المحبوب ليلة الوصل^(١) مؤكداً أن لهذا (الأخر/ العنب) الاسود طراوة يهتز لها الانسان ارتياحاً في الجد والهزل مشبهاً لون العنب ولاسيما اذا ما أئبعت الاشجار بوميض البرق مثلما شبه توهجه بامتداد النار في الحطب حين كع الشجاع.. وهكذا غدا العنب/ الخمر وهنا آخر يبعث في الذات الراحة والنشوة ولاسيما إن الشاعر لم يشر إلى أي وجود لصاحب أو مجالس يشاركه الشرب.

ويقول ايضاً في تفضيل الرمان على العنب "حضرت يوماً مع اصحاب لي، ومعهم صبي متهم في نفسه، وانفقوا انهم تباروا في تفضيل الرمان على العنب، فأنبى ذلك الصبي فأفرط في تفضيل العنب، فقلت بديهاً اعبث به [السريع]

صلني لك الخير برمانه
لا عنباً امتص عنقوده
وهل يرى بينهما نسبة
لم تنتقل عن كرم العهد
ثدياً كأي بعد في المهدي
من عدل الخصية بالهد
فخجل خجلاً شديداً، وأنصرف"^(٢).

يستهل ابن خفاجة مقطوعته الشعرية بالدعاء (صلني لك الخير) لمن يصله بالرمان ليمتص حباته كما الطفل الرضيع يمص ثدي أمه. وخصوصاً "في مقام العطاء؛ فيكون الاعتراض منبهاً للسامع ومحفزاً كي يسمع ما يقال ويجيب طلب المُلقّي لما في هذا الدعاء من تلمين للقلب وايقاظ حسن العطاء في نفسه"^(٣).

(١) ينظر: صورة اللون في الشعر الاندلسي (دراسة دلالية وفنية) : ٧٤.

(٢) ديوان ابن خفاجة: ٣٦٨، بدائع البدائه، علي بن ظافر الازدي، تحد محمد ابو الفضل ابراهيم، (د.ط)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠: ٣٧٧.

(٣) الخصائص البلاغية في شعر ابن خفاجة الاندلسي، اياس غالب الرشيد، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الاداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية وادابها، بإشراف الدكتورة منيرة فاعور،

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م: ١٠٢.

وكذلك شبه الشاعر الرمان ببعد جسدي عند المرأة^(١) في آخر بيت اذ يقول:

وهل يرى بينهما نسبة
من عدل الخصية بالهد

ولعل إضفاء الصفات الانسانية على مظاهر الطبيعة بعامة يحكي حاجته إلى آخر/ انسان رجلاً يصاحبه ويجالسه أو امرأة يحبها ويعاشرها.. فهل هي محاولة منه للتعويض؟.

واذ يصف الشاعر الاشجار ويتحدث عنها فلعل ذلك نابع من إن الرموز التي تبعثها الاشجار بأنواعها ترتبط بحالة تقديسية في العصور القديمة، فضلاً عن أن الاشجار تمثل بيئة مكانية تتضح بها علاقة الشاعر بالطبيعة فقد اولع الاندلسيون بالرياض واستعاروا للاشجار صفات انسانية^(٢).

ويقول في شجرة الايك^(٣):

[كامل]

واراكة ضربت سماء فوقنا	تتدى وافلاك الكؤوس تدار
حفت بدوحتها مجرة جدول	نثرت عليه نجومها الازهار
فكأنها وكان جدول مائه	حسنا شدد بخصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة	تجلى ونوار الغصون نثار
في روضة جنح الدجى ظلاً بها	وتجسمت نوراً بها الانوار
غناء ينشر وشية البزار لي	فيها ويفتق مسكة العطار
نام الغبار بها وقد نصح الندى	وجه الثرى واستيقظ النوار
والماء في حلى الحباب مقلد	زرت عليه جيوبها الاشجار

(١) ينظر: حركية الصورة في الشعر الاندلسي دراسة تحليلية، الاستاذ الدكتور احمد حاجم الربيعي،

الطبعة الاولى، دار غيداء، للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٩م - ١٤٤٠هـ: ١١٦.

(٢) ينظر: صورة الآخر في الشعر الاندلسي والمغربي: ٢٧٣.

(٣) ديوان ابن خفاجة: ٣٥١، و ٢٨١ - ٢٨٢ و ١٨٤.

فالمكان رحب جميل، تدار فيه كؤوس الخمر في مجال طرب أو انس. ولا بد من إضفاء صفات انسانية/ انثوية على بعض من مجالي كل مشهد طبيعي يتحدث عنه إذ أنه يقارب بين "عالم المرأة وعالم الطبيعة نفسياً وجمالياً"^(١)، خالغاً على الطبيعة صفات المرأة الجمالية، محاولاً التوفيق بينهما في مواطن النقاط الجمالية^(٢)، ولعل في ذلك نوعاً من التعويض تمارسه الذات من حيث انعكاس رغبتها في التواصل مع آخر ترتاح اليه وتأنس به؛ فالامكنة تتميز بالمواقف الايجابية للذات اضافة إلى ذلك تتمتع بقيم جمالية والألفة والانتماء وتجعل الشعراء يتمزجون بها^(٣).

ويقول في وصف الليل^(٤):

[طويل]

وليل كما مد الغراب جناحه	وسأل على وجه السجل مداد
به من وميض البرق والجو فحمة	شرار ترامى والغمام زناد
سريتُ به أحبيبه لا حية السرى	تموت ولا ميت الصباح يعاد
يقلب مني العزم اسنان مقلّة	لها الافق جفن والظلام سواد
بخرق لقلب البرق خفقة روعة	به ولجفن النجم فيه سُهاد

تتخذ معظم قصائد الشاعر من الليل غطاء يبث بوساطته الشاعر اوجاعه وهمومه. وقد وصف الشاعر بأنه شاعر الليل؛ فهو من أكثر الشعراء الذين افادوا في

(١) علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الاندلسي ٤٥٠-٥٣٣هـ، زاهر

بن بدر الغسيني - جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، متاح على الرابط،

<http://mohamedrabea.net/library/pdf/2b7fe94b-7483-4e40-b5ff->

[6e565266a4d2.pdf](http://mohamedrabea.net/library/pdf/2b7fe94b-7483-4e40-b5ff-6e565266a4d2.pdf) :١٢٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٣.

(٣) ينظر: الذات والآخر في شعر عمر ابن ربيعة، صبا عصام عبد الحسين نومان الدليمي، رسالة

ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، بإشراف الاستاذ الدكتور هناء جواد عبدالسادة،

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٦٢-٦٣.

(٤) ديوان ابن خفاجة: ١٣٢.

وصف افلاك الليل واجوائه في التعبير عما تواجهه نفسه من مشاعر وافكار لتنعكس عبرها حوارية (الذات/ الآخر) فقد وقف الشاعر امام لوحة (الآخر/ الليل) "وقفة متأملة تضيف إلى الصورة بعداً جمالياً ومضموناً متلاحماً طبيعياً مع اجزاء الحدث الاخرى"^(١)، والشاعر في هذا النص يحدد هوية (الآخر/ الليل) عن طريق حرف الكاف فالليل حامل للدلالات الرمزية والنفسية والايحائية، واذ بيتدي الشاعر البيت الثاني بالجر أو الخفض فلعله يدل بذلك على النقص والشعور بالفراغ ولاسيما اذ كان الليل يتصف بالسواد الداكن؛ لقد شبه الشاعر سواد الليل بجناح الغراب؛ وذلك لأن "سواد الليل كان مسرحاً لوصف الشاعر واستعمل من أجل ذلك جناح الغراب للاستدلال على السيطرة ووحشية الليل"^(٢)، فالليل "يمدّ جناحيه، فينثر السواد، المثير للخوف والقلق والممتزج بالتشاؤم"^(٣)، ومعروف عن الغراب بأنه لا يخفى ما يوحي به من الشؤم وزيادة الاحساس بالسواد والظلمة والتبرم بهما^(٤). إن سريان اللون الاسود وتحركه في السماء يريكه وميض البرق الذي كأنه يخرج من فراغ فحمة الليل أو اسوداده، فالبرق في السماء صورة نقلها الينا الشاعر لبرق تألق في ليل فأهاجه^(٥)، "فالزمن هنا يبدو ايجابياً يطويعه الشاعر لارادته"^(٦)، واذ يقول (لا حية السرى تموت) فإن النوم ههنا موت مجازي يعيد الصباح وكأن الشاعر يستجدي الصباح فلا يلقاه، محاولاً أن يقيم عملية تفاعل أو انصهار بين صفات الليل

(١) الليل في الشعر الجاهلي، جليل رشيد فالح، مجلة اداب الرفادين، العدد (٩) ، ١٩٨٧م: ٥٥٢.

(٢) الليل في قصائد ابن خفاجة، استاذ مساعد دكتور كوران صلاح الدين شكر، مجلة الاستاذ، المجلد الأول، العدد (٢١٠) ، ٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ: ٥٣.

(٣) الليل في الصورة الشعرية عند ابن خفاجة دراسة في المصادر والدلالة، شاهر عوض الكفاوين، المجلة الاردنية في اللغة العربية وادابها، المجلد (٧) ، العدد (٤) ، ذو القعدة ١٤٣٢هـ - تشرين الأول، ٢٠١١م:

(٤) ينظر: الطبيعة الاندلسية واثرها في استثمار اللون الشعري، م. لؤي صيهود فواز، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد الثالث والسبعون، ٢٠١٢م: ٢٤٧.

(٥) ينظر: حركية الصورة في الشعر الاندلسي: ١٣٦.

(٦) الأنا والآخر في المعلقات العشر، سعد سامي محمد، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، بإشراف استاذ المساعد الدكتور جنان محمد عبدالجليل، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م:

وصفات الانسان؛ وكأن الظلام اصبح طيفه الذي لا يفارقه، ولن تخرقه إلا روعة البرق. وما يساعده على السهر إلا حركة النجوم.

إن الليل سكون وسواد وموت مجازي للنائم لكن ابن خفاجة يرفض الخضوع للعبة الحياة والموت باحثاً عن اليقظة وكأنه يخاف من الوحدة والعزلة فالموت.

وقال يصف البحر (١): [سريع]

ولجةٍ تفرق أو تعشق فماتني احشائها تخفقُ
شارفتها وهي بما هاجها من الصبا مزيدة تقلقُ
فخلتني في شطها فارساً قرب منه فرس ابلقُ

رمى الشاعر في اختياره كلمة (لجة) إلى الإيحاء بمشاعر الخوف والرعب والرهبنة في نفس المتلقي وذلك من حيث ارتباطها بالظلمة وتلاطم الامواج وهيجان الريح لتأتي صورة (الآخر/ البحر) ههنا صورة سوداوية (٢) فحركة هذا (الآخر/ البحر) حركة داخلية تشكل من هذا المكان (الآخر) نفسه فضاء معادياً كون هذا البحر أو المكان يرتبط بالحالة النفسية وشعور الذات تجاهه متوزعة بين الانغلاق على النفس أو الانفتاح نحو الخارج وكأن نظرة الشاعر إلى هذا البحر نظرة انسانية (٣)، بمعنى أنه يضفي عليه صفات الانسانية فكأن له احشاء تخفق ليكشف عن حركة الامواج القوية والمرعبة مما يشير إلى حالة القلق والخوف التي تعمل في نفسه وإن كان يصور نفسه فارساً وسط هذا

(١) ديوان ابن خفاجة: ١٣٧.

(٢) ينظر: صورة البحر في الشعر الاندلسي دراسة فينة جمالية في نماذج مختارة، عزيزي صباح، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي أم البوق، بإشراف الاستاذ الدكتور بوحوش مرجانة، ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م - ١٤٣٥هـ - ١٤٣٦هـ: ٥٨ - ٥٩.

(٣) ينظر: الآخر في شعر ابن حمديس الصقلي (ت: ٥٢٧هـ)، علاء عطية شعبان حمزة العبيدي، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، بإشراف مساعد دكتور نادية فتحي هادي الحيايلى: ١٨٧.

البحر يمتطي فرساً ابلق ليواجه على ظهره هذا (الآخر/ البحر) الذي يخشاه لشدة هولته وعلو لجته.

وقال وقد طلع عليه القمر في بعض ليالي اسفاره، فجعل يطرق في معنى كسو وأقماره إهلاله تارة وسراره...^(١).
[بسيط]

لقد أصخت إلى نجواك من قمر	وبت ادلج بين الوعي والنظر
لا اجتلي لمحا حتى اعى ملحا	عدلاً من الحكم بين السمع والبصر
وقد ملات سواد العين من وضح	فقرط السمع قرط الانس من سمر
فلو جمعت إلى حسن محاورة	حزت الجمالين من خبر ومن خبر
وإن صمت ففي مراك لي عظة	قد افصحت لي عنها السن العبر
تمر من ناقص حورا ومكتمل	كورا ومن مرتق طورا أو منحدر
والناس من معرض يلهى وملتفت	يرعى ومن ذاهل ينسى ومدكر
تلهو بساحات أقوام تحدثنا	وقد مضوا فقضوا أنا على الأثر
فإن بكيت وقد يبكي الجليد فعن	شجو يفجر عين الماء في الحجر

تمثل العلاقة بين (الشاعر والآخر/ القمر) نوعاً من الاسقاط النفسي؛ ذلك إن علاقة الشعراء - بعامة - مع القمر اتخذت أشكالاً متنوعة من حيث طبيعة العلاقات المتوترة والمتناقضة مع هذا (الآخر/ القمر) في اشكاله الذكورية والانثوية، فالقمر يمكن أن يعد حالة استثنائية اذ يشكل في بزوجه من بين أجنحة الظلام ضوءاً يسير على خطاه الشاعر، ولكن الشاعر يبدأ قصيدته هذه بأنه يستمع إلى القمر وهو بلا شك استماع ذاتي أو نفسي يحوي بوساطته إلى حاجته إلى من يهديه السبيل ليصل إلى حالة من الاتزان.

واذ يبتدأ كلا من شطري البيت الأول بفعل ماضي (أصخت) و (بتت) فإن صيغة الفعل الماضي تخرج عن دلالتها على الزمن الماضي لتعطي دلالة على الحضور،

(١) ديوان ابن خفاجة: ١٣٠.

فالاصاخة، بدأت في زمن مضى وتستمر في اللحظة الحاضرة. وتتجلى الاستمرارية في الانتقال المفاجئ إلى صيغة الزمن الحاضر في الجملة أجتلي وأعي في البيت الثاني^(١)، وكأن القمر قد تحول إلى ذات أخرى تحاور الشاعر طالباً منها - أي الشاعر - المعونة على إضاءة الطريق وإنارة السبيل. وهكذا يغدو القمر محاوراً جميلاً يتصف بجمال المنظر وجمال النفس، لكنه بضوئه يكتمل وينقص بحسب الايام فمن القوة إلى الضعف ومن السطوع إلى الخفاء.. بما يشيئ بأن أنا الشاعر " قد شغلها هاجس الموت والفناء، فوجد في (الأخر/ القمر) صورة تذكره بالحياة والموت، طلع القمر عليه ليلة من ليالي اسفاره، وراح يصغي إلى نجواه، وتوغل مبكراً بين حالات الوعي الفكري والنظر إلى المال وانتهاء الحال"^(٢)، فحركة القمر الكونية كأنها حركة الناس واعمارهم، فكل نقص يأتي بعد زيادة، وهي في الأساس أبيات تدعو إلى الاعتبار من دورة حياة القمر. إن نظرة الشاعر إلى الكون في اطاره العام نظرة ايمانية يقينية قائمة على أساس الدعوة إلى تأمل مظاهر الكون وتصوره^(٣).

وقال في وصف جبل^(٤): [طويل]

وارعن ظمّاح الذوابة باذح	يطاول أعنان السماء بغارِب
يسد مهب الريح عن كل وجهة	ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه	طوال الليالي مُطرق في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم	لها من وميض البرق حمراً نوايب

(١) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال ابو ديب، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٨٤: ٢٣٢.

(٢) صورة الاخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي، الدكتور سعد فهد النويخ، الطبعة الاولى، عالم الكتب الحديث، اردب، الاردن، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م: ٢٨٠.

(٣) ينظر: الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي دراسة في البنية الموضوعية ولغة الشعر، عبد الحسين طاهر محمد الربيعي: ١٥٦-١٥٩.

(٤) ديوان ابن خفاجة: ٢١٦.

اصخت إليه وهو اخرس صامت
فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال الاكم كنت ملجأ فاتك
وموطن أواه تبتل تائب
وكم مربي من مدلج ومؤوب
وقال بظلي من مطي وراكب

إن الصورة التي يرسمها ابن خفاجة (للآخر/ الجبل) تقوم على أساس تشكيل واضح يعكس تفاصيل هذا الجبل وجزئياته، وقد اشير إلى أن هذه القصيدة استقاها الشاعر من مجنون ليلي في قصيدته التوياد^(١)، إذ يقول^(٢):

وأجهشت للتوياد حين رأيته
وكبر للرحمن حين رأني

لا يمكننا أن نتصور صورة لمثل هذا الجبل لا ترتبط بالضخامة والعلو والكثافة فهو سلسلة من امتدادات جبلية تعمل لضخامتها بوصفها سوراً يسد مهاب الريح وكأن تضاريسه متلاحمة لشدة تزامنها وكثافتها، فهو صخرة صلبة متماسكة لا تهزها ولا تحركها عواقب الأمور وشدائدها؛ فقد ترسخت في مسامته ورواسيه الممتدة في باطن الأرض ولوجود تداخل بين قمة الجبل والغيم الأسود فقد شبه ابن خفاجة قمة هذا الجبل بعمامة رجل كاهن كبير له مهابة^(٣).

إن هذا التشخيص الإنساني لـ (الآخر/ الجبل) تتصهر فيه قيم معنوية وسمات مادية حتى "اختلط التشخيص بالاسقاط، ليرسما هذه الصورة المؤثرة والجميلة"^(٤).

لقد اختار الشاعر لهذا الجبل الشاهق "انموذجين متناقضين: فهو ملجأ حصين للفاتك القاتل يلجأ ويتحصن في الجبل من الاعين فيأمن فيه، وهو أيضاً موطن للزاهد

(١) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٤٤٧.

(٢) كتاب الاغاني، لابي فرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت: ٣٥٦هـ-٩٧٦م)، تد الدكتور احسان عباس، الدكتور ابراهيم السعافين، الاستاذ بكر عباس، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م: ٣٥/٢.

(٣) ينظر: الطبيعة عند المتنبّي، د. عبدالله الطيب، منشورات وزارة الاعلام- الجمهورية العراقية، بغداد، تشرين الثاني ١٩٧٧: ٣٦.

(٤) تشخيص الطبيعة والاسقاط في شعر ابن خفاجة: ٣٧٦.

الداعي ربه التائب عن ذنوبه يترك اهله وناسه ويتخذ الجبل موطناً له ويعتكف فيه ويعيش حياته ذاكرةً الله داعياً إياه ومصلياً تائباً عن ذنوبه" (١)، إن هذه الصورة للجبل بوقوفه شامخاً، صامداً بوجه الظروف والشدائد هو اسقاط لحالة نفسية يمكن أن تعود للشاعر؛ فقد كانت رحلة الجبل عبر الدهر هي رحلة الشاعر عبر الزمن إنها محنة الزمن المحنة الحقيقية التي تزعج ابن خفاجة وترهق أعصابه (٢)، فإن القوة والجبروت تقابله قوة وإرادة الإنسان الذي يتغلب على الشدائد وهكذا يغدو هذا (الآخر/ الجبل) معادلاً لما تتوسمه الذات في نفسه من قوة وشموخ وصبر.

وإذ ننتقل للحديث عن الطبيعة الحية بوصفها آخر في شعر ابن خفاجة فلا بد من أن نؤكد بدأً أن تعامل ابن خفاجة مع الطبيعة ولوعه بوصفها واسقاط ما فيه نفسه على مظاهرها صامتة وحية إنما يشير إلى حالة أو حالات نفسية يعانيتها فيعبر عنها عبر الحديث عن هذا (الآخر/ الطبيعة) ومحاورته.

وقال يحكي لقاءه ذنباً (٣):

[طويل]

سرى ترتمي ركضاً به كل موجةٍ	ترامى بها بحر من الليل اخضرُ
ولا صاحب إلا طير مهند	ومعتدل من لدن المهزة اسمرُ
واطلس زوار مع الليل اغبشُ	سرى خلف استار الدجى تنكر
تتأب من مس الطوى فهو يشتكي	فيعوى ولقد لفته نكباء صرصرُ
ودون امانيه شرارة لهذم	يقلب فيها مثلها حين ينظرُ
فمن جوعه تفديه بي فهو يدني	ومن روعة تثنيه عني فيقصرُ

(١) وصف الجبل لابن خفاجة الاندلسي ت ٥٣٣، دراسة تحليلية، الدكتورة هدى شوكت بهنام، مجلة المورد، المجلد السابع والعشرين، العدد (١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ١١٥.

(٢) ينظر: من صور الابداع الاندلسي، أ.د. محمد مجيد السعيد، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد (١)، لسنة ٢٠٠٩: ١٦.

(٣) ديوان ابن خفاجة: ١٨٠.

تتجسد في هذه القصيدة صورة تبحث في العلاقة بين (الانا والآخر) غير الأليف متمثلاً بالذئب المتوحش.

يبدأ الشاعر نصه بالفعل (سرى) فقد كان خروجه في الليل الذي شبه شدة ظلامه ببحر يترامى.. ولا صاحب له إلا السيف، ليخرج له من وسط هذا الظلام الدامس ذئب أطلس يعاني من الجوع في يوم بارد باحثاً عن فريسته التي وجدها في هذا الشاعر فتهاياً (الذات/ الشاعر) لمواجهة هذا (الآخر/ الذئب) الذي وصفه بأنه يشنكي ويعوي من شدة جوعه ولكن ما يمنع الذئب من مهاجمته هو خوفه من السيف ذو الحافة القاطعة القوية، فيقف الذئب المعروف "بالغدر، والخبث، والخيانة، والظلم، والجرأة، والنشاط، والوقاحة، والعقوق واليقظة واللؤم والخيلاء"^(١)، عاجزاً أمام شجاعة الشاعر في مواجهته ولاسيما وهو يحمل سيفه/ صاحبه ليعود هذا الآخر القهقري خائباً مخذولاً. إنها تكثيف للحظة زمنية فارقة بين الحياة التي تمثلها شجاعة الشاعر واستقواؤه بسيفه والموت الذي يجسد هذا (الآخر/ الذئب) المفترس، معتمداً اللون فضلاً عن الحركة من أجل زيادة تكثيف التأثير في الصورة^(٢).

وقال في صفة طائر يصدح^(٣): [طويل]

وهاتفه في البان تملّي غرامها	علينا وتتلو من صبابتها صُحفاً
عجبت لها تشكو الفراق جهالة	وقد جاويت من كل ناحية إلفا
ويُشجي قلوب العاشقين أنينها	وما فهموا مما تغنت به حرفا

(١) أسماء الحيوان في القرآن الكريم - دراسة دلالية ومعجم، عمر عليوي، جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والادب العربي، بإشراف الدكتور الزبير القلي، ٢٠١١ - ٢٠١٢م: ١٠٤-١٠٥.

(٢) ينظر: البنية الإيقاعية في شعر ابن خفاجة الاندلسي (٤٥١-٥٣٣هـ)، حسين إبراهيم موسى، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية التربية الأساسية، بإشراف الاستاذ المساعد الدكتورة سعاد جاسم محمد الصميدعي، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م: ٧٣.

(٣) ديوان ابن خفاجة: ٣٧٠.

ولو صدقت فيما تقول من الأسي لما لبست طوقاً ولا خضبت كفاً

على الرغم من أن هذه الطريقة في وصف الطير، متبعة عند الشعراء الأندلسيين الذين يعرضون وصفاً لحمام متأثرين بترانيم وترجيع صوتها^(١)، فإن روح الشاعر ههنا قد انصهرت مع أنغام هذا الطائر باحثة عن مجال أو حيز للتعبير عن حالة الفراغ النفسي التي يعانيتها، فهذا (الآخر/ الحمام) "يشارك الشاعر احزانه والآمه، وفي هذه الصور يعمد الشاعر إلى إبراز نواحي الجمال في الحمام شكلاً وصوتاً وإنشاداً"^(٢)، لكنه حين يريد "أن يرتفع بأحزانه ويصور حرارة حزنه فهو يرى في نوح الحمام تصنعاً وتظاهراً بالحنن"^(٣)، معبراً عن أسي ارتبط بالصورة الخارجية لهذه الحمامة من حيث الطوق الذي في عنقها وكفها المخضبة، فالمشهد "برمته قائم على الصور التشخيصية للحمامة، فكل صورها مشخصة، حتى ليتمكن القول إنها رمز لامرأة بعينها، أو أن الشاعر تماهى معها إلى حد أنه عاملها كحبيبة تدعي الهيام وتشكو الصبابة"^(٤)، ولعل الصورة الخارجية للحمامة أو الطير الذي ارتدى اللون الأسود، مخضباً كفه بلون يتماهى مع نغمة الحزن أو الشجي التي يطلقها قد دفعت بالشاعر إلى تغليب الصورة الخارجية للحمامة الحزينة على صوتها لان صوت الحمام واحد تقريباً في كل جنس أو نوع منه، وإنما يتحقق الاختلاف في فهم معنى هذا الصوت ودلالاته من حيث كونه حزيناً أو فرحاً بحسب طبيعة الموقف النفسي أو العاطفي الذي يعانیه الشاعر ولكن هذا الاحساس "الوجداني بالحمامة يفتر عندما ينظر إليها الشاعر بعقله لا بقلبه فيقارن فيما بين مظهرها ومخيرها"^(٥).

(١) ينظر: حركية الصورة في الشعر الأندلسي (دراسة تحليلية): ١٠٠.

(٢) الآخر في الشعر الأندلسي (ابن حزم نموذجاً)، حسن منصور محمد الفريداوي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، بإشراف الاستاذ الدكتور يونس عباس

حسين، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م: ١٦٩.

(٣) الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي (دراسة في البنية الموضوعية ولغة الشعر): ٥٥.

(٤) تشخيص الطبيعة والاسقاط في شعر ابن خفاجة الأندلسي: ٣٧٨.

(٥) الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي: ٢٥٧.

ولعل من أهم مظاهر الطبيعة الحية وأركانها التي أدت دوراً مهماً في تجربة ابن خفاجة الابداعية هي الخيل. فثمة علاقة حميمة انعقدت بين الذات وهذا (الآخر/ الخيل)، حتى أخذت نظرة الذات له معاني ودلالات لا تخرج عن صفات القوة والسرعة والاصالة فضلاً عن الجمال والرقاشة.. ففرسه تارة اشقر أغر كما في قوله: ^(١) [سريع]

واشقر تضرم منه الوغى
من جُنار ناضر لونه
يطلع للغرة في شقرة
وتارة أشهب. كما في قوله ^(٢):
بشعلة من شعل البأس
وأذنه من ورق الآس
حبابة تضحك في كاس
[سريع]

ومشرف الهادي طويل الشوى
يصرف الفارس في لبدّه
مؤدباً لو كان مستعبداً
من انجم السعد لكنه
ضافي سبيب الذيل والغرف
طرفاً به اسرع من طرف
لم يعبد الله على حرف
يوم الوغى من انجم السعد

وقال في فرس ^(٣):

(١) ديوان ابن خفاجة: ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٠.

(٣) ديوان ابن خفاجة: ٢٦٩. وينظر: المصدر نفسه ٢٠٨، فقد وردت مجموعة من صفات الخيل بألوانها وأشكالها كافة في معرض قصيدة له يصف فيها حال مدينة بلنسية وقد تنادت النفوس لاسترجاعها.. التي مطلعها.

الآن سح غمام النصر فانهملا
وقام صغو عمود الديم فاعتدلا

واخلق الخلق طويل الشوى مستشرف الهادي على العامل
 حاز المدى واحتذت خصل العلى فاشتبه المحمول بالحامل
 مُطَهَّم يحمل في شِكْتى ما شاءه من أسدٍ باسلٍ

إن ابن خفاجة لم يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولا واردة ولا شاردة مما تتسم به الخيول العربية الاصيلة - شكلاً ومعنى - إلا ووصفها بها؛ ذلك إن لها مهاماً كبيرة في ساعات الحرب وساحاتها^(١)، مما يبعث في نفس فارسها/ الذات الثقة والطمأنينة من جهة والسعادة والنشوة من جهة اخرى، فاذا ما تأملنا أوصاف الخيل وصفاتها التي وردت في النصوص الثلاثة الآتية وجدنا انها تشكل أركان الصورة المثالية لهذا (الأخر/ الفرس) من وجهة نظر عربية خالصة كما تراها الذات وما ذاك إلا لما للخيل من دور مهم في حياة العربي سلمها وحربها، حلها وترحالها وبتفصيلاتها كافة، حتى إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال فيها: "الخيل معقود في نواصيه الخير إلى يوم القيامة"^(٢)، فأبن خفاجة من الشعراء الذين جمعوا صفات وألوان الخيول فمنها الاحمر ومنها الاشقر والاشهب والأدهم فكل لون من هذه الالوان يعطي صفة معينة فالشاعر كأنه أمام روض للألوان الطبيعية^(٣).

(١) ينظر: وصف الطبيعة في الشعر الاندلسي (قراءة وعرض) ، أ.م.د. ستار جبار رزيح، مجلة اباحات البصرة (العلوم الانسانية) ، مجلد (٣٦) ، العدد (٢١) ، ٢٠١١م: ١، انسنة الحيوان في الشعر الجاهلي، ماهر أحمد المبيضين، عماد عبدالوهاب الضمور، حوليات آداب عين شمس، المجلد (٤٣) ، يناير/مارس ٢٠١٥م: ٢٤٧.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الاولى، دار طوق النجاة، (د.م) ، ١٤٢٢هـ: ٤/ ٢٠٧.

(٣) ينظر: دفاثر اندلسية في الشعر والنقد والحضارة والاعلام، الاستاذ الدكتور يوسف عيد، المؤسسة الحديثة للكتاب ناشر عن، طرابلس - لبنان، ٢٠٠٦: ٨٠٤، وصف الطبيعة في الشعر الاندلسي (قراءة وعرض) : ١١.

وقال في وصف الناقة^(١):

[طويل]

فجبت الدجى منها بأعيس
يقلب طرفاً في الكواكب ساميا
ومن عجب اني ارى القوسى منحنى
يجاذبني رجع الحنين على السرى
ويطريه سجع الحمامة بالضحى
وما كان يدري ما الحنين على النوى
رمىت به ركن الدجى فتهدما
كان به تحت الظلام منجما
به في يد البيداء والسهم مرتما
كان له قلبا هناك متيما
فيلوي إليها جيده متفهما
ولكنى طارحته فتعلما

يأتي حضور (الآخر/ الجمل) في النص متعلقاً مع وصف اجزاء اخرى من الطبيعة، وما حضور اجزاء الطبيعة بصورها المتحركة والصامتة في هذه النص إلا لتحتوي الاسقاطات التي يقوم بها الشاعر على صفات الناقة فتتمثل "احاسيس الشاعر وحالته النفسية عن طريق المزج بين هذه المشاعر والاحاسيس وبين أوصاف الناقة التي نقلها الشاعر"^(٢).

إن عناية العربي بالناقة تعود إلى قضية الموت والحياة، فموت (الآخر/ الناقة) في الصحراء يؤدي إلى موت صاحبها ومن ثمة اختار الشاعر هذه الناقة الضامرة البطن؛ ذات الهيكل اللحمي العضلي فضلاً عن أنها منحنية وسريعة الارتماء، ذلك أن انحناء الناقة حتى لكانها فرس دليل على سرعتها في الجري ولاسيما إذا كان ذلك في الظلام، فحركة أو سير الناقة في الظلام هو تحدٍ بحد ذاته محاولاً أن يقوم بنوع من الانسجام أو الالتحام بين حنينه إلى الماضي حيث لذة العيش واجتماع شمل الاحبة، وحنين الناقة إلى مواطنها. إنها عملية اسقاط نفسي أو تجاوز للماضي عن طريق توظيف الذاكرة التي ترتبط بالاطلال بمعنى الاتجاه إلى الاحباب أو الامل^(٣)، وهكذا فإن "مجابهة المصاعب الكثيرة والمتاعب الجمة التي تترتب على السير الحثيث وقطع القفار والفيافي مما يتطلب

(١) ديوان ابن خفاجة: ١٧٣.

(٢) وصف الحيوان في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين الدكتور حازم عبدالله خضر، افاق عربية (الشؤون الثقافية العامة) ، بغداد، ١٩٨٧: ٦٠.

(٣) ينظر: الآخر في الشعر الاندلسي (ابن حزم انموذجاً): ١٦٦.

ناقة سريعة قوية"^(١)، ولما كانت هذه الصورة تصف عملية العودة إلى الاصل فقد عمل الشاعر على تدشين المشهد بحالة من السعادة عبر توظيف سجع الحمام الذي هو في الأصل طرب هذا الشاعر، بعودته إلى بلده وأهله وهكذا تتظافر أنواع من الآخر/ الطبيعة، من آخر/ ناقة، وآخر/ حمام، وآخر/ زمان وسواها لرسم الصورة الكلية للذات في هذه الحالة.

(١) وصف الحيوان في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين الدكتور حازم عبدالله خضر،

١٩٨٧: ٦٣.

The Other / Nature in the Poetry of Ibn Khafaga Al-Andalusi

Asmaa Taher Thanoon Al-Abadi*

Montaser Abdul Qadir Al-Ghadhanfari *

Abstract

This research deals with one of the important aspects of the Andalusian poet Ibn Khafaga, which is the other / nature, as he is one of the most important poets of Andalusia who dealt with nature until it became a corner of his creative text, until nature reached - silent and vivid - the climax in the description and communication on his hand.

The other nature, and more so the Andalusian nature, is one of the factors that contributed in establishing the phenomena of creativity, innovation and renewal in Andalusian poetry in general, and the poet Ibn Khafaga in particular until the poet of Andalusian nature is not deserving of its spheres and speaking of its flanks, but that he concealed from their aspects of life that became a future with him of his ideas And his feelings, as he made them, are a space for many texts in his poetry, as well as a direct description, so that all of this brings together a picture of another important one which had a great role in explaining the poet's psychological / intellectual and creative experience.

Keywords: feelings, ideas, pictures.

* Master's Student/ Department of Arabic Language/ College of Human Education/ University of Mosul.

* Prof/ Department of Arabic Language/ College of Human Education/ University of Mosul.